ثالثا : تعليقات ومناقشات

الياء من اسم العلم «العاصي»

للاستاذ صبحي البصام

في كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ حاشية في «العاص» لمحققه العلامة أحمد زكي باشا . وهي قوله في أبي أُحيحة سعيد بن العاصي بن أُميّة : «يغلط كثير من ناسخي الكتب وطابعيها فيقولون (العاصي) في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من العوص لا من العصيان ولذلك يقال لهم الأعياص . راجع الاشتقاق لابن دريد ولسان العرب وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب» (ص ١٩٦) . وهذا قول غلط ، وأنا آخذ ههنا بدفعه بالبراهين ، لاعتقاد خاصتنا وعامتنا إيّاه ، ولاعتيادهم حذف ياء العاصي فيما يكتبون أو يتحدثون فيه ، ولرغبتي في حفظ أصل يوشك أن يُجتثّ .

ياء العاصي من عمرو بن العاصي

(١) إنّ «العاصي» في عمرو بن العاصي وغيره من العصيان ، وهو عدم الطاعة لا من العوص . وهو اسم منقوص . وأرى أن الأصل في معناه الحميّ الأنف الذي لا يطيع الباغي ولا يبخع له . ولى دلائل على كونه اسماً منقوصاً هي :

(آ) أقوال علماءاللغة :

إنّ ابن قتيبة مع إمعانه في حذف الياء من هذا الاسم في بعض كُتُبه نبّه عليها في كتابه «المعارف» . قال في عمرو بن العاص «وهو العاصي فحذفت الياء» (ص ١٢٤) . وفي تاج العروس أن الأخفش قال : «هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها وقد لهجت العامة بحذفها» (٢٤٥/١٠) . وفيه أيضاً أن النحّاس قال إن قول الأخفش «مخالف لجميع النحاة» ويلي قوله هذا : «يعني أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها» (٢٤٥/١٠) . فلم ينكر النحاس أن أصل العاص العاصي بل أنكر أن لا يُجاز حذف يائه . وإن قالوا قديماً العاص لما أصله العاصي ، فقد قالوا لنهر في العراق الزاب مع أن الأصل فيه الزابي ، وكذلك قالوا لنهر آخر هو سميّه . وقالوا لهما الزابان والأصل فيهما الزابيان . جاء في كتاب العين (مادة زبي) : «والزابيان : نهران في أسفل الفرات [1] ، وربما سموهما مع ما حواليهما من الأنهار الزوابي . وأما العامة فيحذفون الياء ويقولون الزاب كما يقولون للبازي باز» . وانظر في اللسان مادة (زبي) . ومما يدّل على أصلهما قول أبي سعيد ابراهيم مولىٰ قائد يرثي بني أُمية كما في معجم البلدان (مادة اللابتان) :

وبالزابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فُطْرُسِ

وعندي أن لحذف العامة قديماً الياء من «العاصي» في عمرو بن العاصي وفي غيره سببين : أحدهما القصد إلى الاختصار . وإذا كان الاختصار في كلام الفصحاء الأقدمين كثيراً فهو كذلك في كلام العامة . وكان إذا استخفّ الفصحاءُ اختصار العامة استعملوه . ومن اختصار العامة في العراق في عصرنا هذا حذف الياء من اسم العلم «عبد العالي» فيقولون «عبد العال» لفظاً وكتباً . ويقولون لما هو غاية في الجودة «عال العال» والأصل «عالي

---

(١) المعروف أن الزابيين يصبان في أعلى دجلة وقد رأيتهما وسبحت في احدهما . ولا صلة لهما بالفرات ، ولم أرَ حاشية في ذلك للأستاذين محققي الكتاب .

العالي» أي يعلو على العالي . والآخر أن العصيان ورد في التنزيل دالاً على عدم إطاعة الله ، كقوله عزّ آسمه : «فعصىٰ فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً» (المزّمّل/١٦) ، وكقوله : «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (الأنعام/١٥) ، فأصبح في آسم العاصي شيءمن وخامة ونبوّ ، حتى أن مطيع بن حارثة بن عوف كان آسمه العاصي فسماه النبي ﷺ مطيعاً ، كما ذكر مؤرج السدوسي في كتابه «حذف من نسب قريش» (ص ٨٣) . وكان لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بنت آسمها عاصية فسماها النبيّ ﷺ جميلة ، ذكر ذلك مسلم وأبو داود والترمذي ، كما في التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول (٥/٢٧٥) .

(ب) استطراد :

وإن حذفوا قديماً الياء من اسم العلم العاصي وهو معرّف بالألف واللام فقد أثبتوا ياء آسم علم منقوص غيره مجرد من الألف واللام وفي موضع تنوين وهو «صافٍ» ، كما في تأريخ الوزراء : «على يد صافي الحرمي الخادم» (ص١٠١) . وكما في نشوار المحاضرة : «يحكىٰ عن صافي الحرمي الخادم» (١/٢٨٧) ، والأصل فيه حذف الياء ، كما في ذيل تجارب الأمم «فوافاه صاف البصري» (١/٢٣٦) هكذا ، وبيّنٌ أن البصري محرّفة عن الحرمي . وكذلك أثبتوا الياء من «غاز» كما في البخلاء : «فقال له غازي أبو مجاهد» (ص ٣٠) والأصل «غازٍ» ، كما في البيان والتبيين : «قال غاز أبو مجاهد» (١/٤٠٠) . وأظن أن إثبات هذه الياء في «صافي» و «غازي» ونحوهما كان بدء تدرّج أدّى إلى إثباتها من بعدُ باطرّاد في الأسماء المنقوصة المجرّدة من الألف واللام عند تنوينها .

(ج) المصالحات والرسائل والشعر :

ونصّت المصالحات والرسائل والشعر على إثبات ياء العاصي من هذا الاسم . ففي كتاب عمر بن الخطاب في مصالحته أهل إيلياء : «شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي» (تأريخ الطبري ٣/٦٠٨) . وفي كتاب عمرو بن العاصي في مصالحته أهل عين شمس : «هذا ما أعطى

عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم» (تأريخ الطبري ٤/١٠٩) . وفي رسالة لعمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي كما في فتوح مصر وأخبارها» : «إلى العاصي بن العاصي . أما بعد ، فإنك غرّرت بمن معك . . .» (ص ٥٢ ـ فرنسا ١٩١٤) . وقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في حرب صِفين (تأريخ الطبري ٤/٥٦٣) :

لأُصبِحنّ العاصيَ بن العاصي بسبعين ألفاً عاقدي النواصي

وفي رجز لجرير بن سهم التيمي ، وكان مع علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في توجهه إلى صفين (تأريخ الطبري ٩/٢١٣) .

أن تقتل العاصي والهماما وأن تزيل من رجال هاما

أراد بالعاصي عمراً وبالهمام معاوية ، وقوله العاصي على حذف المضاف أي ابن العاصي :

(د) من عصاة قريش :

وفي اللسان (مادة : عصا) : «وفي الحديث: لم يكن أسلم من عصاة قريش غير مطيع بن الأسود ، يريد من كان آسمه العاصي» . هكذا ، وهو عند مؤرج السدوسي مطيع بن حارثة بن عوف . وعسى أن يتحقق من الاسم أحد القراء ، فيصلح الفاسد من النصين بكلمة موجزة ، ومن أولئك العصاة العاصي والد عمرو بن العاصي ، ذكر اسمه الزجاج في تعليقه على قوله تعالى : إنّ شانئك هو الأبتر ، قال : «نزلت في العاصي بن وائل» (تهذيب اللغة ١٤/٢٧٧) . ومنهم العاصي بن هشام بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب في معركة بدر ، فقال فيه حسان بن ثابت (السيرة لابن هشام ق ٢/٧٦) :

غداة دعا العاصي علياً فراعه بضربة سيف بلّه بخضيبِ

ومنهم العاصي بن منبّه ، وهو أيضاً قتله علي في بدر (العقد الفريد ٣/٣١٨) . ومنهم العاصي بن أُمية ، وسيجيء القول فيه .

(هـ) نصوص أخرى :

ونصوص النثر التي أُثبتت فيها ياء العاصي من هذا الاسم كثيرة جداً ، على أنها أقل من نصوص حذفها . وأنقل ههنا أمثلة مختارة منها ، ففي فتوح البلدان «وبعث خالد بن الوليد هشام بن العاصي بن وائل السهمي أخا عمرو بن العاصي» (١/١١٦) . وورد فيه العاصي مقروناً باسم ولده أو مفرداً ستاً وثلاثين مرة وكلها بالياء الا واحدة ورد فيها بحذف الياء (ص ١٢٨) [٢] . وقال المصعب بن عبد الله الزبيري في «نسب قريش» في بعضهنّ : «فتزوجها شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي» (ص ٣٢ . بروفنسال) . واعتماداً على ذاكرتي أقول : لم أرَ في هذا الكتاب كله لفظ العاصي الا بالياء ، سواء أكان ذلك والد عمرو بن العاصي أم غيره . وفي مجمع الأمثال أنّ ابن الأعرابي قال : «وحكام قريش عبد المطلب وأبو طالب والعاصي بن وائل» (١/٢٦) ، وانظر في سمط اللآلي (١/٤٨٧) . وفي تأريخ الطبري أنّ زياد بن جزء حدّث «أنه كان في جند عمرو بن العاصي حين افتتح مصر» (٤/١٠٥) . وفي الأغاني «لما مرّ الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية قال بعضهم لخالد : من هذا ؟ فقال كالمستهزىء : هذا عمرو بن العاصي . فعدل إليه الحجاج فقال : إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي . . .» وفي تتمة الخبر «وانصرف عنه وهو يقول : عمرو بن العاصي ، عمرو بن العاصي» (١٧/٣٤٤ الهيئة المصرية) . وفي الحماسة الشجرية «وقال العاصي بن وائل السهميّ» (١/٢٦) ، وفيها : «وقال عمرو بن العاصي بصِفّين» (١/١٩٩) . وأكثر ياءات العاصي في هذه النصوص وغيرها وقعت إلى المؤلفين رواية ، ومعها أسانيدها ، وربما طُرحت الأسانيد تخفيفاً ، وأثبت المؤلفون الياءات كما وقعت إليهم إلا أن يكون زيادة من سهو ، فأغلب كلمات «العاصي» بالياء ليست بغلط من ناسخي الكتب ولا طابعيها كما قال الأستاذ أحمد

---

(٢) وفي كتاب فتوح مصر وأخبارها المذكور آنفا (المادة ١ ـ ج) ورد اسم العاصي والد عمرو في بضعة مواضع فكان بالياء فيهنّ جميعاً (وهنّ ص ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣) .

زكي باشا . وهذه النصوص التي أتيت بها وغيرها كثير هي بقية ما أبقاه القدماء منها بعد ميلهم إلى حذفها في أكثر النصوص . وصحة الياء فيها يعززّها ما تقدمها من بحث فيها (المادة ١ ـ آ،ج) .

ياء العاصي من ابني أُميّة

(٢) إن كان وقع خلاف قديماً في ياء العاصي من عمرو بن العاصي لأن أكثرهم حذفوها مع أنها أصلية ، فليس من خلاف ذي شأن في ياء العاصي وأبي العاصي ابني أمية إلا الخلاف الذي أقامه في العصر الحديث الأستاذ أحمد زكي باشا . ففي أغلب النصوص المعتمدة نجد الياء في آسميهما . وكأني ببني أمية ، ولهم اعتزازهم بإباء أنفسهم ، وتيههم بسلطان دولتهم ، كانوا يأنفون من حذف الياء من اسمي جدّيهم ، سواء أكان الحذف للاختصار أم لغيره [٣] . وأنا ذاكرها هنا ما يدل على أصالة هذه الياء .

(آ) الأعياص من أبناء أمية :

من أبناء أُمية على ما ذكر ابن قتيبة في كتابة «المعارف» ، العاصي وأبو العاصي والعيص وأبو العيص ، وهم الأعياص (ص ٣٣ ـ ٣٤) . وأُثبتت فيه الياء من العاصي وأبي العاصي . والعاصي هذا هو والد أبي أُحيحة سعيد الذي أنكر ياءه الأستاذ أحمد زكي باشا . وحُذفت الياء من العاصي وأبي العاصي في كتاب «حذف من نسب قريش» لمؤرج السدوسي . على أن ناسخ الكتاب ، كما ذكر محققه الدكتور صلاح الدين المنجّد ، وضع تحت الصاد من «أبي العاص» دائرة وكتب في الهامش «صي» وتحتها دائرة (ص ٣١) ، وقال المحقق «يعني أنه يُقال ذلك» . فإن صحّ تفسير المحقق كان ذلك من الأدلة على أصالة الياء ، وعلى بعض الميل إلى حذفها ،

---

(٣) على ذكر الأنفة من تعديل اسم العاصي أقول في اقتراح تغيير اسم : جاء جدُّ سعيد بن المسيّب الى النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقال : ماسمك ؟ قال : حَزْن ، قال : أنت سهل ، قال : لا أغيّر اسماً سمّانيه أبي . رواه البخاري ومسلم والترمذي . وهي جفوة منكرة .

وعندي أن الذي فعله الناسخ كان اصلاحاً لغلط وقع فيه . وأرى أن أبناء أُمية أولئك ، وأمهم آمنة آبنة أبان قيل لهم الأعياص جمعاً لعِيص وهو أحدهم كجمع دين على أديان وعيد على أعياد وكيس على أكياس ، وذلك على التغليب . ونحوه أن أبا طريف عدي بن حاتم حارب في صِفّين هو وأبناؤه مع علي بن أبي طالب ، فقتل أبناؤه أو قسم منهم في الحرب ، فلما آلت الخلافة إلى معاوية قال له معاوية تشفّياً بقتلهم : يا أبا طريف ما صنعت الطَرَفات ؟ فجمع أسماء أبنائه المقتولين بجمع اسم واحد منهم على التغليب ، ويجوز أن يكون طَرَفة [٤] . ونحوه أيضاً قول بشر بن أبي خازم :

تؤمّ بها الحداةُ مياهَ نخلٍ وفيها عن أبانينِ آزورارُ

وأبانان أبان وسلمى ، إلّا أن العرب غلبت أباناً ، أمّا ما قال به الأستاذ أحمد زكي پاشا من أن العاص «من العوص ولذلك يقال لهم الأعياص» ، فلا وجه له ، ومن أين جاء بياء الأعياص إن كان المفرد عوصاً ؟ وكيف أُعلّت الواو ياءً ؟ ولو جمع عوص على أفعال لقيل أعواص ، كعون وأعوان وقوس وأقواس وثوب وأثواب . وقد رجعت إلى الكتبِ التي أحال عليها فلم أجد فيها ما يؤيد قوله هذا ولا غيره .

(ب) الاستشهاد بالشعر :

والدليل القاطع على أصالة الياء من العاصي وأبي العاصي آبني أُمية هو الشعر . ومما يخص منه العاصي ، وهو والد أبي أحيحة سعيد ، قول أعشى ربيعة فيه ، كما في ديوان شعر الأعشى (ثعلب ص ٢٧٨) :

أبو العيص والعاصي وحرب ولم يكن أخ كأبي عمرو يُشدّ به الأَزْرُ

وقول قُنيع النصري في موسى بن عمرو بن سعيد بن العاصي (مجالس ثعلب ٢/٣٩٥) :

---

(٤) أثبتّ خبر عدي بن حاتم من ذاكرتي إبّان تبييض المقالة ، وذلك في خزانة كتب إقبال بجامعة كشمير . ولم أظفر في الخزانة بكتاب يقفني على أسماء أبنائه ، ولا أحفظ منهم الا طريفاً ، وكان عدّي يكنى به .

كلُّ بني العاصي حمدتُ عطاءهم

وإني لموسى في العطاء لـلائمُ

وقال الحطيئة في سعيد بن العاصي (الديوان/٢٥٦) :

فلولا الذي العاصي أبوه لعلّقت

بحوران مجذام العشيّ عَصُوفُ

والعاصي في قول الحطيئة هو أبو الممدوح سعيد ، ومع أن قول الحطيئة أثبت أصالة يائه فهي تحذف في كثير من نصوص النثر ، خصوصاً حين يكون مقروناً باسم ابنه ، فيقال «سعيد بن العاص» . وأظنّ أنه سُمّي «العاصي» باسم جدّه العاصي بن أُمية .

ومما يخص أبا العاصي من الشعر ، قول أمية بن أبي الصلت يرثيه (أنساب الأشراف ١/٣٠٧) :

عينُ بكّي بالمسبلات أبا العا

صي ولا تجمدي على دَمعه

وقال فيه حفيده عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي :

نماني أبو العاصي الأمين وهاشم

وعثمان والناسي الشهور القَلَمَّسُ

وقال بعضهم في عبد الرحمن ويحيىٰ ابني الحكم (تأريخ الطبري ٤/٥٣٦) :

وفى ابنُ أُبير والرماح شوارع

بآل أبي العاصي وفاء مذكّرا

وقال كثيّر عزة في عبد الملك بن مروان (الموشح ص ٢٢) :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة

أجاد المسدّي سردها وأذالها

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي فيه (تأريخ الطبري ٦/٤٢١) :

إنّ أبا العاصي وفي ذاك اعتصىٰ

أوصىٰ بنيه فوعوا عند الوَصَىٰ

وقال البهيّ بن أبي رافع فيه (تأريخ الطبري ٣/١٧١) :

هـو ابن أبي العـاصي مـراراً وينتمي
الـى أُسـرة طـابـت لـه وجـدودِ

وقال عبد الله بن قيس الرقيّات فيه (سمط اللآلي ١/٢٩٥) :

إنّ الفنيق الـذي أبـوه أبـو الـ . . . .
ـعـاصـي عليـه الـوقـار والـحُجُبْ

وقال الفرزدق يرثي بشر بن مروان (الديوان ١/ ٢١٧) :

أغَـرُّ أبـو العـاصي أبـوه كـأنـمـا
تـفـرّجت الأبـواب عـن قـمـر بـدرِ

وقال نصر بن سيّار في هشام بن عبد الملك (تأريخ الطبري ٧/١٦٥) :

أبـو الـعـاصي أبـوه وعـبـدُ شـمس
وحـربٌ والـقـمـاقـمـةُ الـكـرامُ

ونسبة الشعراء عبد الملك وبشراً وهشاماً الى جدهم أبي العاصي بن أُمية من المألوف شعراً ونثراً . ومنه قول الأعشى في النبي صلى الله عليه وسلم :

متى مـا تناخي عنـد باب ابن هـاشم
تـراحـي وتلقـي من فـواضـله نَـدَىٰ

ومنه قولهم عمر بن أبي ربيعة وانما هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . أما حذف الياء من أبي العاصي في الشعر فلم أقف منه الا على شاهد واحد ، وهو قول كثير بن كثير النوفلي في عمر بن عبد العزيز كما في سفر السعادة (١/٧٦) :

مقـاتِـلُ الأعـراق في الـطاب الـطابْ
بـين أبـي العـاص وآل الـخـطّابْ(٥)

---

(٥) وكذلك هي نسبة البيت في اللسان (مادة : طيب) . ونُسب في العقد الفريد (٣/٤٥٠) لأعرابي . وهو في المجمل في اللغة (١/٥٩٠) بلا نسبة . والعاص في هذه المراجع المذكورة أيضاً بلا ياء . ويجوز أن يكون الأصل في تأليف البيت بـ «العاصي» بالياء ، ثم حذفت الياء من قبل راو أو ناسخ ثم توالى الحذف في سائر المراجع ، والخروج عن السُّنَن قد يُعدي ، ولو كانت «العاصي» بالياء لكانت أجود وزناً وأصحّ لغة .

وما قيل من الشعر في أبي العاصي أكثر مما قيل في العاصي ، ذلك بأن حفيده مروان أسس الدولة المروانية ، وتتابع على خلافتها وإماراتها أبناؤه وأحفاده فكثر ما دحوهم من الشعراء .

(ج) ومن شواهد النثر لاثبات ياء العاصي من آبني أمية نص ابن قتيبة في «المعارف» ، وتقدّم ذكره (المادة ٢ ـ آ) . وفي فتوح البلدان « . . . ثم ولّىٰ البحرين أبانَ بن سعيد بن العاصي بن أُمية» (١/٩٩) . وفيه أنّ ممن استُشهد من المسلمين في اليمامة «عبد الله وهو الحكم بن سعيد بن العاصي بن أُمية» (١/١٠٩) . وقال الزبيري في «نسب قريش» في بعضهنّ «ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن العاصي» (ص ٤٥) ، وفي الكامل للمبرد «سعيد بن العاصي بن أُمية» (١/١٤٥ مطبعة التقدّم) . وفي تأريخ الطبري «وقُتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أُمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاصي وأبان بن سعيد بن العاصي» (٣/٥٧٢) . وفي مجمع الأمثال أن ابن عباس قال في عبد الملك بن مروان «إنّ ابن أبي العاصي مشى اليقدمية» (ص٤) . وعلّق الأصمعي على هذا القول قائلاً «نسبه الى جدّه» . وفي العقد الفريد «لمّا رد عثمانُ الحكمَ بن أبي العاصي . . .» (٤/٣٠٥) . والعاصي بالياء في هذه النصوص وغيرها ليست غلطاً ، وإنما وقع أكثرها رواية ، وحذفت أسانيد قسم منها استخفافاً ، ودُوّنت كما رُويت ، وصحتها مؤيدة بما قدّمته من قول فيها (المادة ٢ ـ آ ، ب) .

ليست الأسرتان من بيت واحد

(٣) والعاصي وأبو العاصي آبنا أُمية لا يجمعهما مع العاصي والد عمرو بيتٌ واحد . ولكل من الجهتين نسبها ، فأمية هو ابن عبد شمس بن مناف بن قُصيّ . والعاصي والدعمرو هو ابن وائل بن هشام بن سهم ، انظر في حذف من نسب قريش (ص ٣٤) والمعارف (ص ١٢٤ و١٨٢) . فقول الأستاذ أحمد زكي باشا

في أحيحة سعيد بن العاصي بن أُمية : «فيقولون العاصي في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت» غير صحيح .

قوله : «فيقولون العاصي في هذا الرجل»

(٤) وقوله «فيقولون العاصي في هذا الرجل» الوجه فيه «فيقولون العاصي لهذا الرجل» . فهذا موضع اللام لا في . والشواهد لذلك غاية في الكثرة :

(أ) ففي التنزيل (الانبياء/٦٠) : «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم» .

(ب) وفي معجم البلدان (أجأ) «وكان من خيرهما أن رجلاً من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمىٰ ، وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء» .

(ج) وفيه (الأنبار) «وكان يقال لها الأهراء فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار» .

(د) وفيه (بَوَنّا) «والقصرُ : ناحية قرب الكوفة يقال لها بَوَنّا» .

(هـ) وفيه (تونس الغرب) جاء في تونس «عُمّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة» .

(و) وفيه (الحِجر) «وكان رجل من بني جُشَم يقال له جَحْدر يُخيف السبيل» .

وقد رجعت في الشواهد ، من بعد القرآن المجيد ، الى معجم البلدان ، لكونه بين يديّ ساعة كتبي مقالتي هذه ، ولعلمي بوفرة ما فيه من هذا التعبير ، وهي وفرة أغنتني عن الرجوع الى غيره ، ولم أَرَ من يستعمل «في» بدل «اللام» في نحو هذا الموضع . فمن رآها فهي شاذة عن لَقَم الطريق ، فهم يقولون «يُقال له فلان» اذا أرادوا : يُسمّىٰ فلاناً ، وهذا موضع اللام ، ولكنهم يقولون «يقال فيه إنه كذا وكذا» اذا أرادوا أن يذكروا أمراً من أموره ، وهذا موضع في ، فإن زُكّي كأن يُقال «هو ذو علم غزير ، وخُلُق كريم» فقال بعضهم «هو يُقال فيه» فقد أراد قولاً أو أقاويل في الطعن عليه ، وقد أطلت القول في ذلك ، لأني كنت قلت عبارة موجزة فيه لبعض الفضلاء فلاح عليه شيء من خَلَجة شك ، وانتشار رأي ، وفيما ذكرته فائدة له ولغيره .

مختصر القول

آ) فما قال به العلّامة أحمد زكي باشا من أن الصحيح أن يقال (العاص) بلا ياء لعمرو بن العاصي غلط ، بدلالة ما يُستفاد من أقوال ابن قتيبة والأخفش والنّحاس ، وهو أن الأصل فيه العاصي بالياء (المادة ١ ـ آ) ، وبدلالة ما نصّت عليه المصالحات والرسائل والشعر من إثبات الياء (المادة ١ ـ ج) ، ولإثباتها في عبارة للزجاج في تهذيب اللغة (المادة ١ ـ د) .

ب) وما قال به من أن الصحيح في اسم والد أبي أُحيحة سعيد وغيره من أبناء البيت الأموي هو (العاص) بلا ياء ، أيضاً غلط . وذلك لشواهد الشعر التي ورد فيها اسما العاصي وأبي العاصي بالياء (المادة ٢ ـ ب) . ولإثبات ابن قتيبة الياء من آسميهما ، وللحاشية التي أثبتها ناسخ كتاب «حذف من نسب قريش» (المادة ٢ ـ آ) ، ولشواهد النثر (المادة ٢ ـ ج) .

ج) وما قال به من أن الأعياص من عوص غلط ، لأن القياس في جمع عوص على أفعال أعواص كعون وأعوان ، وإنما الأعياص جمع عِيص ـ وهو أحد أبناء أُمية ـ كدين وأديان (المادة ٢ ـ آ) ،

د) وما قال به من أن عمرو بن العاصي والعاصي بن أُمية من بيت واحد أيضاً غلط ، لأنّ عمراً هو ابن العاصي بن وائل بن هشام بن سهم ، في حين العاصي هو ابن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، كما في كتب الأنساب وغيرها (المادة ٣) .

وعندي أن حذف الياء من العاصي ليس بغلط ، وإنما الغلط أن يأبىٰ آبٍ إثباتها مع أنها أصل ، وخليق بالمعروفين بالفصاحة من الكتاب أن يثبتوا هذه الياء إن احتاجوا الى أن يكتبوا اسم عمرو بن العاصي أو العاصي أو أبي العاصي آبني أُمية ، ليعادل ما يثبتونه ما يحذفه غيرهم ، وليُتدارَكَ أصل لغوي يوشك أن يموت .

رحم الله العلامة أحمد زكي باشا ، فقد كان ذخيرة علم وفضل ، مع جلالة قدرٍ ، ونباهة ذكر . وكان شادّاً حيازيمه لإعلاء شأن اللغة العربية ، وللفَتْش عن مخطوطاتها . واذا كان عربياً في أصله ، فقد كان أيضاً عربياً في زِيّه وقلبه ولسانه الفصيح . والذي استدركته عليه إنما هو من زَبَد بحره ، ورخيص دُرّه[٦] .

(٦) المراجع المذكورة في هذه المقالة ، وهي تزيد على أربعين ، أكثرها من خزانة كتب SOAS التابعة لجامعة لندن . وباقيها من خزانة كتب إقبال من جامعة كشمير الواقعة في مدينة سرينكار . وكشمير هي التي قال لها العرب قديماً قِشمير . وكانت القائمة بأمور الكتب العربية والأردية من مكتبة إقبال الأستاذة عتيقة بانو ATIKA BANO قد تناهت في مساعدتي ، وذلك بتقديم ما أحتاج اليه من كتب ، وبتهيئة الحال الملائمة لكتب المقالة ، جزاها الله خيراً .

تعقيب على المستدرك على شعر أبي النجم العجلي

عبد الإله نبهان

حمص ـ سورية

كنت نشرت في العدد الثاني والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مستدركاً مبدئياً على ديوان أبي النجم العجلي ، وقد وقعت في النص بعض هفوات الطباعة أحببت أستدراكها وإلحاقها بفوائد نبهني إليها أخي الأستاذ مصطفى الجدري ، فقد قدّم لي ما ورد من شعر أبي النجم في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الأزدي البغدادي ١٥٧ ـ ٢٢٤هـ . فعدت إلى الكتاب ، واستخرجت الشاهد مع الحديث الوارد ، ووجدت الشواهد المذكورة منها ما لم يرد في الديوان فاقتضى الحال استدراكه ، ومنها ما ورد فاقتضى الأمر إضافة تخريجه . وقد رأيت أن أشفع ما ورد من شعر أبي النجم بما ورد من تعليقات أبي عبيد عليه . ثم قَفّيتُ ذلك بفوائد علقتها من كتاب غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البُستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ . وقد قدّمت أولاً ذكر المستدرك عن أبي عبيد ثم عن الخطابي . وألحقت ذلك بذكر ما أشرت إليه من أغلاط طباعية وردت في مقالنا السابق في العدد المشار إليه .

أ ـ ما أخذناه من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد :

١ ـ قال أبو عبيد ١ : ١٣٤ : قد أشاح بوجهه إذا جدّ في قتالٍ أو غيره . قال أبو النجم في الجدّ يذكر العير والأُتن :

قُبّاً أطاعت راعياً مُشيحاً لا منفِشاً رعياً ولا مُريحا

يقول : إنه جادّ في طلبها وطرْدها ، والمنفِش : الذي يدعها ترعى ليلاً بغير راعٍ ، يقول : فليس هذا الحمار كذلك ، ولكنّه حافظ لها .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج١٧ب ٣ ، ٤ ص ٨٢ ، ٨٣ . وذكرناه ههنا ليقترن بشرح أبي عبيد له .

٢ ـ ذكر في الديوان ق١٣ ب١ ص٧٨ البيت : [من الطويل]

تقتّلنا منها عيونٌ كأنّها عيون المها ما طرْفُهنّ بحادجِ

وذكر في تخريجه أنه في التهذيب واللسان . ونضيف أنه في غريب الحديث للهروي ٤ : ١٠٠

٣ ـ ذكر في غريب الحديث ٤ : ٢٥٤ المثلَ الذي يُروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير : عَشّ ولا تغترّ ، بمعنى خذ بالثقة والاحتياط . وللمثل قصة ذكرها في غريب الحديث ، وفي كتابه الآخر الأمثال ص ٢١٢ برقم ٦٣٩ . واحتج لذلك المعنى في غريب الحديث بقول أبي النجم :

عشّي فَعيلاً واصعري فيمن صَعَرْ

ولا تريدي الحرب واجتري الوبرْ

ورواية البيت الأول في الديوان ج٢٤ ب١٠ ص ١٠٥ عن الشعر والشعراء لابن قتيبة :

عَشّي تميمُ واصغُري فيمن صَغُرْ

ويبدو أن أبا عبيد استبدل وزن فعيل بتميم ، ويبدو أن (واصغُري) بالغين المعجمة ، من الصَّغار تصحفت في الطباعة إلى (واصعري) بالعين المهملة من الصَّعر وهو التكبر ، وكذلك حصل في «صعر» . ولا مناسبة للصّعر ههنا لأن المقام مقام هجاء وذم . ويبدو ههنا أن ما أثبته محقق الديوان وجامعه عن الشعر والشعراء هو الصواب . أما البيت الثاني الوارد في غريب الحديث فإنه لم يرد في الديوان .

(*) نذكّر هنا أن ج تعني أرجوزة . وب : البيت . وق : القصيدة .

قال أبو عبيد : يقول : خذي بالثقة في ترك الحرب ، وعليك بالإبل فعالجيها ، إنك لست بصاحبة حرب .

٤ ـ ورد في الديوان : ج٢٤ ب٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ص ١٠٨ قوله :

يوم قَدَرْنَا والعزيزُ مَنْ قدرْ وآبتِ الخيلُ وقضّينا الوَطرْ
من الصعافيقِ وأدركنا المئرْ

وقد خرّجها المحقق من التهذيب والجمهرة واللسان . وهي أيضاً في غريب الحديث ٤ : ٤٤٣ وفسّر أبو عبيد الصعافيق بقوله : أراد بالصعافيق أنهم ضعفاء ليست لهم شجاعة ولا قوّة على قتالنا .

٥ ـ ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٢ حديثاً عن ابن عباس ورد فيه الحرف «رِجْل» بمعنى الجماعة الكثيرة من الجراد . فقال أبو النجم يصف الحُمُرَ وتطاير الحصى عن حوافرها فقال :

كأنّما المعْزاء من نضالها رِجْلُ جرادٍ طار عن خذّالها

وورد هذا الرجز في الفائق ٢ : ٤٧ مادة «رجل» وروى أوّله : كأنما الغرّاء . . ويبدو أنها مصحفة عن المعزاء ، لأن الرجز ورد أيضاً في اللسان ، والحيوان ٥ : ٥٦٣ برواية المعزاء .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج٥٦ ب١٢ ، ١٣ ص ١٦٣ نقلاً عن الحيوان والفائق . وأثبت فقط الرواية التي رجّحها الأستاذ المحقق عبد السلام هارون وهي :

رِجْلُ جرادٍ طار عن جدالها

بالحاء والدال المهملتين ، بمعنى المراوغة كما دوّنها محقق الحيوان في الحاشية من غير أن يربط معنى البيت بها . ولم يشر محقق الديوان إلى رواية الفائق واللسان وغريب الحديث «خُذّالها» .

٦ ـ ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٠ ما ورد في حديث ابن عباس حين قيل له : أقرأُ القرآن في ثلاث . فقال : لأن أقرأ البقرةَ في ليلة فأدَّبرها أحبُّ إليّ من أن أقرأ كما تقول هَذْرَمةً .

قوله : هذرمةً يعني السرعة في القراءة وكذلك في الكلام . وقال أبو النجم يذمّ رجلاً :

وكان في المجلس جَمَّ الهَذْرَمَهْ ليثـاً على الـداهيـة المكـتّمـهْ

وظاهر من تدبّر المعنى أن البيت الأول ذمّ وهجاء والثاني مديح وإطراء حسب هذه الرواية ، لذلك نرجح أن يكون الأصوب في رواية البيت الثاني ما ورد في اللسان «هذرم» :

لَيْنَاً على الداهية المكتّمه

فهذا اللين مناسب لسياق الذم .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج٦٦ ب ١ ـ ٢ ص ٢١٩ وعلق عليه المحقق بقوله : إن أبا النجم يتمدّح بجدّه الهذرمة ، وهذا تعليق عجيب . وقد ذكر أبو عبيد والزمخشري في الفائق ٤ : ٩٩ وصاحب اللسان أن البيت في ذمّ رجل .

٧ ـ ذكر أبو عبيد ٣ : ١١٧ الحديث الذي ورد فيه حرف «القاه» : يارسول الله إنّا أهلُ قاهٍ . . . . وفسّر «القاه» بأنه سرعة الإجابة وحسن المعاونة ، وأصله الطاعة . ومنه قول رؤبة بن العجاج ويقال إنها لأبي النجم :

تـالله لـولا النـارُ أن نَصْـلاهـا أو يـدْعـوَ النـاسُ علينـا الله

لَـمَـا سمِـعْـنـا لأمـيـرٍ قـاهـا فـأخـطرت سعـدٌ على قـنـاهـا

قال : يريد الطاعة .

قلت : ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في الفائق ٣ : ٣٢٧ مادة «قيه» منسوبة لرؤبة بن العجاج . ولم أجدها لا في ديوانه ولا ديوان أبيه .

ورأيت الرجز في اللسان «قيه» منسوباً للزّفيان السعدي ، وقبله :

مـا بالُ عينٍ شـوقُها استبكـاهـا في رسمِ دارٍ لـبسـت بـلاهـا

ثم ورد سائر الرجز باستثناء البيت الأخير .

ب ـ وهذا ما عثرنا عليه لأبي النجم في كتاب غريب الحديث للإمام الخطابي

٨ ـ ذكر في غريب الحديث ١ : ١٧٢ قوله : فدفعنا إلى المسجد فإذا هو بأَزَرٍ . قال : بأَزَرٍ يريد بجمعٍ كثير ضاق عنهم المسجد . الفضاء منهم أَزَزٌ والبيت منهم أَزَزٌ إذا غصّ بهم . وقال أبو النجم :

واجتمـع الأقـدامُ في ضيـقٍ أزَزْ

قلت : والرجز في التكملة للصاغاني واللسان «أزز» وقبله :

أنـا أبو النجم إذا شُـدّ الحَجُزْ

ورويّ الزاي هذا لم يرد في الديوان .

٩ ـ وجاء في غريب الحديث ٢ : ٤٠٤ الحرف «فُرّها» أي انظر إلى سنّها ، يعني سنّ الناقة . يقال : فررت الدابة إذا فتحتَ فاها لتعرف سنّها . قال أبو النجم :

وكم تـركنـا بـالـفـلاة جمـلا يفُـرُّ للغِـرْبـان نـابـاً أعصـلا

وهذا رجز لم يرد في الديوان .

١٠ ـ الرجز في ج٥٨ ب ٨٣ ، ٨٤ ص ١٩١ : الشوّل . . . الأيّل يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٣ .

١١ ـ الرجز في ج٥٨ ب٢٥ ص ١٨١ . . . سنامٍ مجفل يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ٢ : ٤٤٨ .

١٢ ـ الرجز في ج٧٤ ب٧ ، ١ ص٢٢٧ جرّاها ـ واها يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٤ .

ج ـ أما الأغلاط الطباعية التي وردت في مقالنا في العدد ٣٢ فهي :

- في ص ٢٥٨ سطر ١٣ : بضم الواو والصواب بضم الراء .
- في ص ٢٦١ السطر ١٥ ورد : الحذَذ : هو حذف الوتر . . والصواب الوتِد .
- في ص ٢٦٦ السطر الأخير : وصوب الرمل . . . وقد ورد هكذا في كتاب ما بنته العرب على فعال للصاغاني . ويبدو أن صوابه كما أشار الأستاذ الحدري : وصوّب الرملة . . وبذلك يستقيم الوزن .
- في ص ٢٦٩ السطر ١٦ ورد : رابي المجسة . . والصواب : السجسّ
- في ص ٢٧٨ سطر ١٥ ورد : غير رماد الحيّ والأثغيّ والصواب : والأثفيّ بالفاء المعجمة .

وبعد ، فهذا جملة ما اجتمع لي مما استحسنت التعقيب به على مستدركي الأول ، راجياً أن أكون قد أضفت شيئاً ذا بال على ما تقدّم . . وما زال رجز أبي النجم بحاجة إلى كثير من العمل والجهد .

مصادر البحث

- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . منشورات جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠هـ .
- التكملة والذيل والصلة للصاغاني . دار الكتب المصرية «الجزء ٣ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم» ١٩٧٣
- كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٤ .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦
- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي . تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي . منشورات جامعة أم القري ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي . طبعة ثانية .
- لسان العرب لابن منظور . دار صادر بيروت .